

من أسرار التعبير القرآني في سورة البلد - دراسة بلاغية تحليلية -  
د. محمد أبوشعالة صالح\* - قسم اللغة العربية، كلية الآداب - جامعة سرت

[dr.mohmed@su.edu.ly](mailto:dr.mohmed@su.edu.ly)

تاريخ القبول 2025/ 7/2م

تاريخ الاستلام 2025/ 4/ 7م

## The Secrets of Qur'anic Expressions in Surat Al-Balad: An Analytical Rhetorical Study

Dr. Muhammad Abu Shaala Saleh\* - Department of Arabic Language,  
Faculty of Arts, Univeristy of Sirt

### Abstract

The Qur'an has the qualities of a miraculous speech, characterized by its good composition, precise structure, and beautiful brevity. This research examines Al-Balad Chapter "Surah Al-Balad" to highlight the most important blessings that the Almighty Allah has bestowed upon man in his different stages, as well as the most important rhetorical secrets that the surah contains.

**Key Words:** secrets, Qur'anic expressions, Surat Al-Balad.

### الملخص:

توافرت للقرآن الكريم مقومات الخطاب المعجز بما تميز به هذا الكتاب الخالد من حسن التأليف، ودقة التركيب، والإيجاز البديع. يتناول هذا البحث "سورة البلد" للوقوف على أبرز ما من الله تعالى به على الإنسان في مراحل المختلفة مع ذكر أبرز الأسرار البلاغية التي احتوت عليها السورة. الكلمات المفتاحية: اسرار، التعبير القرآني، سورة البلد

### 1-المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، خاتم النبيين، ورحمة الله على العالمين، سيدنا محمد، وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين. أما بعد:

القرآن الكريم هو وحي الله تعالى الأخير على الأرض، وهو مشتمل على كل علم نافع، من خير ما سبق، وعلم ما سيأتي، وأحكام الحلال والحرام، وما يحتاجه الناس في الدنيا والآخرة، وبعد الممات، بقوله تبارك وتعالى في وصفه للقرآن الكريم: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل: 89)، ولا تجد سورة من سور القرآن

الكريم إلا وترها قد حوت الكثير من المسائل والفوائد والعبر والعظات، وإن صغر حجمها وقل عدد آياتها. ومن هذه السور التي صغر حجمها، وقصر مبناها، لكن عظم معناها، فاشتملت على الكثير من الفوائد والأسرار، والعديد من اللطائف والنكات، والعبر والعظات، هي "سورة البلد". فأردت من خلال هذا البحث المتواضع، ان أقوم بواجبي نحو هذا الذر الثمين، الوقوف على أسرارهِ وأنواره مع سورة البلد. وقد دفعني إلى اختيار هذه السورة الكريمة أمور أهمها:

أولاً: استيفاء هذه السورة الكريمة على صغر حجمها لعدد من الموضوعات المهمة، حتى قال عنها ابن القيم -رحمه الله: "فتأمل هذه السورة على اختصارها وما اشتملت عليه من مطالب العلم والإيمان" (التيبان في أقسام القرآن، 1982م، 1402هـ، صفحة 39). ومن ذلك استيفاءها لعناصر البلاغ والإرسال. حيث ذكر فيها موطن الرسالة، والرسول، والمرسل إليهم، والرسالة، وبيانها لعظمة البلد الحرام، وعظم شأن نبينا محمد (ﷺ) وبيانها وتوصيفها لحال الإنسان في الحياة الدنيا، وأنه يعيش فيها في كبد من لحظة الولادة إلى دخول الجنة فيرتاح، أو دخول النار فتزداد معاناته ومكابدته، وتذكيرها للإنسان بنعم ربه تبارك وتعالى عليه، وإيضاحها لطريق النجاة واقتحام العقبة في الدنيا والآخرة، وبيانها لمنهج كل من الأبرار السعداء، والفجار الأشقياء، ومصير كل فريق.

ثانياً: اشتمال تفسير السورة الكريمة على عدد من الفوائد واللطائف المهمة. اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة وفهرس المصادر والمراجع. وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، فهو الأنسب والأكثر فعالية لهذا النوع من الأبحاث. والذي يتلخص في الآتي:

- المقدمة: تناولت فيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث.
- المبحث الأول: التعريف بالسورة، اسمها، أسباب نزولها، مكية أم مدنية، مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها، مقاصدها، فضلها، الفوائد المستنبطة منها.
- المبحث الثاني: الأسرار البلاغية للسورة.
- الخاتمة: فقد ضمننتها أهم النتائج المستفادة من السورة.
- وأخيراً قمت بإعداد قائمة بالمصادر والمراجع.

### المبحث الأول - سورة البلد

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ وَوَالِدٌ وَمَا وَلَدَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ أَلَمْ نَجْعَلْ

لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدْيُهُ النَّجْدَيْنِ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَيَّأَتْنَا لَهُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿

**1.2 التعريف بالسورة:** - هذه السورة هي السورة "التسعون" من القرآن الكريم بترتيب المصحف بالرواية المتداولة عن حفص عن عاصم و"الخامسة والثلاثون" من القرآن الكريم حسب النزول، وهي سورة مكية نزلت بعد سورة "ق" وقبل سورة "الطارق". والسورة تبين أن خلقة الإنسان مبنية على التعب والمشقة، لذا فهي تدعو إلى الصبر على الطاعة والابتعاد عن المعصية ونشر الرحمة على الأيتام والفقراء وتقديم المساعدة لهم، لضمان أن يكونوا من أصحاب اليمين، وإذا لم يكن ذلك، فسيكونون من أصحاب الشمال، الطبطبائي، 1430 هـ، صفحة 334

**2.2 تسميتها وآياتها:** تمت تسمية هذه السورة بالبلد بناءً على الآية الأولى فيها، حيث أقسم الله سبحانه وتعالى بالبلد الحرام، مما يدل على أهمية هذا المكان بسبب شرف من يعيش فيه وهو الرسول الذي يدعو لتكريم الله وإخلاص العبادة له. ويقال- أيضاً - أن كلمة "لا" هنا تنفي، مما يعني أنه لا يقسم بهذا البلد المقدس لأن حرمة هذا المكان قد انتهكت وأن النفوس والأموال والأعراض هناك قد أعلنت وأبيحت، وهذا يدل على توبيخ لكفار قريش. وعدت آياتها بعشرين آية، تتألف من اثنين وثمانين كلمة في ثلاثمائة وثلاثة وأربعين حرفاً، وهي من قصار المفصل، أي: من السور التي لها آيات متعددة وصغيرة (هادي، 1428 هـ، صفحة 313).

**3.2 سبب نزول السورة:** ورد في هذه السورة سبب مخصص في نزول بعض الآيات منها، قوله تعالى: (أَيَحْسَبُ أَنْ لَّنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ)؛ فقد قيل إنها نزلت في أبي الأشد "أسيد بن كلة الجمحي"، فقد كان مغترأً بقوته. أما الآية الكريمة: (يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا)، فقد قيل إنها نزلت في "الحارث بن نوفل"، حيث قال إنه أهلك الكثير من المال في الحقارات (تفسير حدائق الروح والريحان في رواي علوم القرآن، صفحة 8)، وقيل أنزلت في غيره من الذين يستخدمون مالهم للصد عن دين الله. ولم يرد سبب مخصص لنزول كامل السورة، وإنما نزلت بشكل عام للحديث عن عدة أمور، منها ما يأتي (الموسوعة القرآنية خصائص السور، صفحة 259):-

- الحديث عن تعظيم البلد الحرام.

- الحديث عن تكريم آدم وذريته.

- الحديث عن معاناة الإنسان من الولادة إلى الممات، وما يكابده في الحياة الدنيا من متاعب.

- الحديث عن الطريق الأمثل للوصول إلى الله تعالى.

#### 4.2 سورة البلد مكية أم مدنية؟

سورة البلد سورة مكية بالإجماع، لأن البلد هي مكة المكرمة بالاتفاق، فكيف يقول القائل إنها مدنية؟ (الاتقان في علوم القرآن، صفحة 14).

#### 5.2 مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها ومقاصدها وفضلها.

##### 1- مناسبة سورة البلد لما قبلها " سورة الفجر "

**أولاً - أقوال المفسرين:** قال الإمام ابن الزبير الغرناطي: "لما أوضح - سبحانه - حال من تقدم ذكره في السورتين في عظيم حيرتهم وسوء غفلتهم من ذلك بتعريف نبيه عليه الصلاة والسلام بأن وقوع ذلك منهم إنما جرى على حكم السابقة التي شاءها، والحكمة التي قدرها، كما جاء في الموضوع الآخر (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى) (سورة السجدة الآية 13)، فأشار تعالى إلى هذا بقوله: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) (سورة البلد الآية 4)، أي: إنا خلقناه كذلك ابتلاءً ليكون ذلك قاطعاً لمن سبق، له الشقاء عن التفكير والاعتبار، (وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا) (سورة الكهف الآية 57)، فأعماهم بما خلقهم من الكبد، وأغفل قلوبهم فحسبوا أنهم لا يقدر عليهم أحد، وقد بين سبحانه فعله هذا بهم في قوله لنبيه (ﷺ) (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) (سورة الكهف، الآية 28)، (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا) (سورة يونس الآية 99).

فأنت تشاهدهم يا محمد (ﷺ) ذوي أبصار، وآلات يعتبر بها النظر، (أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ) (سورة البلد الآية 8-9)، فلا أخذ في خلاص نفسه، واعتبر بحاله وأمره (فَلَا أَفْتَحَمُ الْعُقَبَةَ) (سورة البلد الآية 11)، ولكن (وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ) (سورة الرعد الآية 11). انظر (البرهان في تناسب القرآن، 1410هـ، 1990م، صفحة 364، 363).

- قال الإمام أبو حيان: "ولما ذكر الله تعالى ابتلاءه للإنسان بحالة التنعيم وحالة التقدير، وذكر من صفاته الذميمة ما ذكر، وما آل إليه حاله وحال المؤمن اتبعه بنوع من ابتلائه ومن حاله السيئ وما آل إليه في الآخرة" (البحر المحيط 745هـ، 1420هـ).

- قال الإمام البقاعي: "لما ختم كلمات الفجر بالجنة التي هي أفضل الأماكن التي يسكنها الخلق، لاسيما المضافة إلى اسمه الأخص المؤذن بأنها أفضل الجنان، بعدما ختم آياتها بالنفس المطمئنة بعد ذكر الأمانة التي وقعت في كبد الندم الذي يتمنى لأجله العدم، بعد ما تقدم من أنها ماتزال في كبد وابتلاء المعيشة في السراء والضراء، افتتح

هذه بالأمانة مقسما في أمرها بأعظم البلاد، وأشرف أولي الانفس المطمئنة (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 885هـ، صفحة 46، 45).

-قال الإمام السيوطي: "ووجه اتصالها بما قبلها أنه لما ذم فيها من أحب المال وأكل التراث، ولم يحض على طعام المسكين، ذكر في هذه السورة الخصال التي تطلب من صاحب المال، من فك الرقبة، والإطعام في يوم ذي مسغبة" (تناسق الدرر في تناسب السور، 911هـ، صفحة 158).

-قال الإمام الألوسي: "ولما ذم سبحانه فيما قبلها من أحب المال وأكل التراث أكلا لمأ، ولم يحض على طعام المسكين ذكر جل وعلا فيها الخصال التي تطلب من صاحب المال من فك الرقبة وإطعام في يوم ذي مسغبة وكذا لما ذكر عز وجل النفس المطمئنة هناك ذكر سبحانه ها هنا بعض ما يحصل به الاطمئنان فقال عز قائلًا: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، 1270 هـ، صفحة 349).

**ثانياً - دراسة أقوال المفسرين :** اتفق المفسرون السابقون أن وجه مناسبة فاتحة سورة البلد لخاتمة سورة الفجر يتعلق ببيان حال الإنسان في الأولى، وجوانب نفسه حيث ناسب في الثانية كيفية التخلص من هذه الجوانب في نفس الانسان. ومن التوجيهات الحسنة تعرض الإمام البقاعي للفتة طيبة في التناسب في ياء المضافة للمتكلم في كلمة "جنتي" في قوله تعالى: (وادخلي جنتي) (سورة الفجر الآية 30). وفي القسم المتعلق بأشرف البلاد وأظهرها بعد أن صفت هذه النفس الطيبة من كبد الابتلاء.

ومن الإلهام الموفق ما بينه الأمام الألوسي في ذكر ما يحصل به الاطمئنان في فاتحة سورة البلد الأمين مع ما يناسبه من ذكر النفس المطمئنة في سورة الفجر، وقد كرر الإمام الألوسي ما ذكره الإمام السيوطي من تناسب فاتحة سورة البلد لمحو سورة الفجر، فهو من قبيل المناسبة العامة.

ومن خلال ما تقدم من أوجه المناسبة يظهر لي أنه حين ذكر الله تعالى في سورة الفجر أعلى مراتب النفس وأنها وأصفاها وهي النفس المطمئنة إلى قضاء الله وقدره، وبشرها بدخول أعلى مراتب الجنان، ناسب ذلك ذكره سبحانه وتعالى لأعظم الخلق، وأعظم النفس البشرية وهي نفس الحبيب المصطفى (ﷺ) بتعظيم الله تعالى للبلد الذي هو حال مولود فيه (ﷺ) فانتهدت السورة بذكر النفس المطمئنة لتبدأ السورة التي تليها بالتعظيم للبلد الذي حل وأقام فيه صلوات ربي وتسليماته عليه (روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، 1270 هـ، صفحة 349). ثم أقسم بكل والد وولده إشارة إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام، وولد سيدنا إسماعيل عليه السلام، لينتهي القسم بخلق الله تعالى الإنسان مكابداً شدائد

الدنيا، لينتهي به الحال لاحقاً بركب الأنبياء والصالحين ذوي الأنفس المطمئنة، أو مقيداً بركب الجاحدين ذوي النفوس السيئة، أعاذنا الله وإياكم منها

## 2- مناسبة سورة البلد لما بعدها "سورة الشمس"

أولاً - أقوال المفسرين : قال الإمام ابن الزبير الغرناطي: "لما تقدم في سورة البلد تعريفه - تعالى - بما خلق فيه الإنسان من الكبد، مع ما جعل له سبحانه من آلات النظر، وبسط له من الدلائل والعبر، وأظهره في صورة من ملك قيادة، وميز رشده وعنده، وهذا بيان النجدين (إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ) (سورة الانسان الآية 3)، وذلك بما جعل له من القدرة الكسبية التي حقيقتها اهتمام، أوكد، أو ألم، واتي بالاستبداد والاستقلال، ثم (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) (سورة الصافات الآية 96)، أقسم الله سبحانه في هذه السورة على فلاح من اختار رشد، واستعمل جهده، وأنفق وجده، (فَدَّ أَلَحَّ مِنْ زَكَّاهَا) (سورة الشمس الآية 9)، وخيبة من غاب هداه فاتبع هواه، (وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)، (سورة الشمس الآية 10)، فبين حال الفريقين وسلوك الفريقين (البرهان في تناسب القرآن، 1410هـ، 1990م، صفحة 364).

- قال الإمام أبو حيان: "ولما تقدم القسم ببعض المواضع الشريفة وما بعدها، أقسم هنا بشيء من العالم العلوي والعالم السفلي، وبما هو آلة التفكير في ذلك، وهو النفس، وكان آخر ما قبلها مختتماً بشيء من أحوال الكفار في الآخرة، فاختمت هذه بشيء من أحوالهم في الدنيا، وفي ذلك بمآلهم في الآخرة الى النار، وفي الدنيا الى الهلاك المستأصل" (البحر المحيط 745هـ، 1420هـ، صفحة 285 الجزء 10).

- قال الامام البقاعي : "في سورة البلد الإنسان في كبد، وأن من حاد عن سبيله كان في النكد، وهو النار، أقسم أول هذه على أن الفاعل لذلك أولاً وآخرأ هو الله سبحانه، لأنه يحول بين المرء وقلبه، وبين القلب ولبه، فقال مقسماً بما يدل على تمام علمه، وشمول قدرته في الآفاق علوبها وسفليها، والأنفس سعيدها وشقيها، وبدأ بالعالم العلوي، فأفاد ذلك قطعاً العلم بأنه الفاعل المختار، وعلى العلم بوجوب ذاته وكمال صفاته، وذلك أقصى صفات القوى، تذكيراً بعظائم آلائه، ليحمل على الاستغراق في شكر نعمائه، الذي هو منتهى كمالات القوى العملية، مع أن أول المقسم به مذكر بما ختم به آخر تلك النار: (والشمس) (سورة الشمس الآية 1) ، أي: الجامعة بين النفع والضرر بالنور والحر (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 885هـ، صفحة 70، 69 الجزء 22).

- قال الإمام السيوطي: "إن سورة الشمس ظاهرة الاتصال بسورة البلد، فإنه سبحانه لما ختمها بذكر أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، أراد الفريقين في سورة الشمس على سبيل الفذلكة (قال الصاغانى: فذلكة: أي أنهاه وأفرغ منه - وقال الخفاجي: جملة

عدد قد فصل). ينظر (تاج العروس، صفحة 294، 293 الجزء 27)، (معجم اللغة العربية المعاصرة، 1424هـ، صفحة 1683، الجزء 3).

فقوله في الشمس (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا) (سورة الشمس الآية 9) هم أصحاب الميمنة في سورة البلد، وقوله: (وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) (سورة الشمس الآية 10) هم أصحاب المشأمة في سورة البلد، فكانت هذه السورة فذلّة تفصيل تلك السورة، ولهذا قال الإمام (يقصد بذلك الامام الرازي) (مفاتيح الغيث، 606هـ، صفحة 173): المقصود من هذه السورة: الترغيب

في الطاعات والتحذير من المعاصي" (تناسق الدرر في تناسب السور، 911هـ، صفحة 160).

-قال الإمام الألوسي: "ولما ختم سبحانه السورة المتقدمة يذكر أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة، أعاد جل شأنه في هذه السورة الفريقين على سبيل الفذلّة بقوله سبحانه: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (سورة الشمس الآية 9، 10) وفي هذه: (فَالْهَمَّهَا فَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) (سورة الشمس الآية 8) وهو كالبيان لقوله تعالى في الأولى: (وَهَدَيْتُهُ النَّجْدَيْنِ) (سورة البلد الآية 10)، على أول التفسيرين، وختم سبحانه الأولى بشيء من أحوال الكفرة في الآخرة، وختم جل وعز هذه بشيء من أحوالهم في الدنيا" (روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، 1270 هـ، صفحة 257، الجزء 15).

#### ثانياً - دراسة أقوال المفسرين:

أصابته الحقيقة في سورة الشمس كبد الإنسان في سورة البلد، والحقيقة هنا طريق الفلاح والخيبة، هذا ما بينه الإمام الغرناطي حين وجه تناسب السورتين، وإلى هذا المعنى أشار الغمام أبو حيان موجهاً بشكل أدق تناسب فاتحة سورة الشمس مع خاتمة ما قبلها.

إن في التناسب الذي ذكره الإمام البقاعي إشارة لطيفة وهي متجهة كما وجهها الإمام الغرناطي إلى تناسب فاتحة السورة لمحور السورة السابقة لا خاتمتها. وكان وجه المناسبة ظاهراً ومرجحاً عند الإمام السيوطي، إذ ربط حال الفريقين في سورة البلد بعاقبتهم في سورة الشمس، مبيناً أن سورة الشمس ناسبت خاتمة سورة البلد بإجمال بعد تفصيل. وقد اختصر كل من الشيخين المراغي والزحيلي ما ذكره الإمام السيوطي وما ذكره الألوسي (تفسير المراغي، 1371هـ، صفحة 165، الجزء 30)، مع شيء من بيان المفردات للشيخ الغماري والفراهي.

ومن خلال ما تقدم أقول: لما ذكر الله تعالى حال الأضداد في خاتمة سورة البلد، فبين حال أهل الإيمان بتواصيهم بالرحمة لغيرهم وتواصيهم بالصبر وجزائهم، وحال أهل الشؤم والضلال وعقابهم ناسب ذلك سير تلك المخلوقات المأمورة بأمر الله تعالى وأضدادها المختومة بالنفس بتبيين الطاعة والمعصية لها، فكان ذكر حال الأضداد

وجزأؤهم مناسباً لذكر حال الأضداد من المخلوقات المأمورة بأمر الله تعالى وبما ختمت به سورة البلد من حال أهل الإيمان وحال أهل الباطل، فأهل الميمنة قد زكوا أنفسهم، فأفلحوا ونجوا، وأهل الشؤم قد أضلوا وأغوا أنفسهم، فخابوا وخسروا، ونالوا النار المؤصدة، وهذا المعنى لم يخرج من أقوال المفسرين وإنما من باب التفصيل، وفي ظاهر التناسب بين السورتين ما يغني عن الشرح والإيضاح.

#### 5- مقاصد سورة البلد:

مقصدها بيان طريق الهداية والنجاة من النار، وقال الإمام البقاعي في مقصودها: "نفي القدرة عن الإنسان، وإثباتها لخالقه الديان، وذلك هو معنى اسمها، فإن من تأمل أمان أهل الحرم وماهم فيه من الرزق والخير، على قلة الرزق ببلدهم، مع ما فيه غيرهم، ممن هم أكثر منهم وأقوى، من الخوف والجوع، علم ذلك" (مساعد النظر، للإشراف على مقاصد السور، الجزء الثالث، 885هـ، صفحة 193، 194). وقال الإمام ابن عاشور: "حوت من الأغراض التنويه بمكة، وبمقام النبي (ﷺ) بها، وبركته فيها وعلى أهلها، والتنويه بأسلاف النبي (ﷺ) من سكانها الذين كانوا من الأنبياء مثل إبراهيم وإسماعيل، أو من أتباع الحنيفية، مثل عدنان ومضر، والتخلص من ذم سيرة أهل الشرك، وإنكارهم البعث، وما كانوا عليه من التفاخر المبالغ فيه، وما أهملوه من شكر النعمة على الحواس، ونعمة النطق ونعمة الفكر، ونعمة الإرشاد، فلم يشكروا ذلك بالبذل في سبيل الخير، وما فرطوا فيه من خصال الإيمان وأخلاقه، ووعد الكافرين وبشارة الموقنين". (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الجزء 30، 1393هـ، صفحة 346، 345).

ومما ذكره الشيخ المراغي في مقاصد سورة البلد أن كثرة النعم على عبد ليست دليلاً على إكرام الله له، ولا البلاء دليل على إهانته وخذلانه، وقد استنبط ذلك من قوله تعالى: (أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ) (سورة البلد الآيات 5-7) (تفسير المراغي، 1371هـ، صفحة 154، الجزء 30). وقال سيد قطب: "تضم هذه السورة الصغيرة جناحيها على حشد من الحقائق الأساسية في حياة الكائن الإنساني ذات الإحياءات الدافعة واللمسات الموحية، حشد يصعب أن يجتمع في هذا الحيز الصغير في غير القرآن الكريم، وأسلوبه الفريد في التوقيع على أوتار القلب البشري بمثل هذه اللمسات السريعة العميقة" (في ظلال القرآن، صفحة 3908).

#### 8- فضل سورة البلد: -وردت فضائل كثيرة في قراءتها، منها:

روي عن النبي (ﷺ) "من قرأ هذه السورة أعطاه الله تعالى الأمان من غضبه يوم القيامة، ومن كتبها وعلقها على الطفل، أو ما يولد أمين عليه من كل ما يعرض للأطفال" (البرهان في تفسير القرآن، 1429هـ، صفحة 162، الجزء 10). ورد عن الإمام الصادق: "من كانت



قراءته في الفريضة (لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) كان في الدنيا معروفاً أنه من الصالحين، وكان في الآخرة معروفاً إن له من الله مكاناً، وكان من رفقاء النبيين والشهداء والصالحين" (تفسير جوامع الجامع، 1430هـ، صفحة 787، الجزء 3)، وهي مثل غيرها من سور القرآن الكريم، تتعلق بخيرات القراءة، حيث يعادل كل حرف حسنة والحسنة تعود بعشر أضعافها. كما أن قراءة القرآن تؤدي إلى الرفعة في المنازل والمكانة في الآخرة وتساعد في الشفاعة

### ثالثاً - الفوائد المستمدة من سورة البلد:

1- **تكریم الرسول بالقسم بمكة:** تبدأ سورة البلد بالقسم بمكة، والتي نالت مكانة عظيمة لأنها موطن الرسول، وأيضاً كانت مكاناً لبعض الأنبياء السابقين والقبائل العربية التي اتبعت الحنيفية، وهدف الله سبحانه وتعالى من القسم بمكة هو تحذير المشركين، حيث أن إنكارهم للرسول وإيذائه يعد من أكبر الجرائم.

يحتمل القسم بمكة المكرمة التي كانت من قبل وادٍ غير ذي زرع ولا ماء حتى بث الله في هذا البلد الحياة لدعاء نبيه إبراهيم عليه السلام أن يكون ذلك تنبيه على قدرة الله تعالى أن يبعث الخلق بعد الموت، فيجب على المكذبين أخذ العبرة من المكان الذي يعيشون فيه، ولا يقتصر تذكير الله - تعالى - على أماكن معينة فقط، بل يتحدث - أيضاً - عن تتابع الأجيال، حيث إنه يذكر "آدم وذريته"، ولا شك أن الذي يملك القدرة على الخلق يملك أيضاً القدرة على إحياء الموتى.

### 2- الحياة الدنيا مكان اختبار للإنسان:

يجب على الإنسان أن يدرك أنه موجود بشكل متحرك في حياته الدنيا، وبالتالي فإنه سيواجه العديد من التحديات والصعوبات. ينبغي عليه أن يتجنب شر الآخرين وأن يتحكم في شهواته ليحقق النجاة في الآخرة، ورغم أن الإنسان يعلم مشقة الطريق ويتكبد المعاناة في حياته، إلا أنه يبخل عن مساعدة غيره، ولذلك تأتي هذه الآية كتوجيه على ضرورة أن يتعاون البشر سوياً لمواجهة مشاكل الحياة.

3- **تذكير الإنسان بقدرة الله تعالى:** بعدما أوضح الله تعالى ضعف الإنسان أثناء مكابذته لحوادث الدهر، يذكره الله بقدرة الله عليه حتى لا يغتر الإنسان بقدرته ونجاحه في الحياة الدنيا، عندما يجمع الأموال يعينه الله على تخطي الصعاب.

كان المشركون في مكة يعتقدون أن أموالهم التي جمعوها في حياتهم الدنيا سوف تكون لهم عوناً يوم القيامة وستدفع عنهم العذاب، ولكن جاءت هذه الآية للرد على هذا الهراء، حيث أن المال لا ينفع في الآخرة، ولكن ما يفيد حقاً في هذا اليوم التقوى

والعمل الصالح ، وينبه الله تعالى الإنسان باطلاعه على جميع ما يصنع الإنسان، وبالتالي يستطيع الله أن يحاسبه على أفعاله وأقواله دون أن يفلت الإنسان من الجزاء.

### المبحث الثاني - الأسرار البلاغية في سورة البلد:

قال - تعالى -: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾. لقد أقسم الله تعالى بما ذكر "على أن الانسان خلق مغموراً في مكابدة الشدائد والصعاب". (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل، 1367هـ، 1948م).

فقد أقسم - سبحانه- بالبلد الحرام في حال حلول الرسول (ﷺ) فيه وإقامته به يبلغ دعوته. وقد تسأل: لماذا قال: "وأنت حل" ولم يقل: "وأنت حال أو مقيم في هذا البلد"؟ والجواب هو أنه استخدم كلمة "حل" لجمع عدة معاني في كلمة واحدة، وكل هذه المعاني مطلوبة. وذلك لأن "حل" تحمل معاني متنوعة منها أنها تشير إلى الحال والمقيم. الأنطلسي، 1420هـ، "474/8 صفحة (474/8) ، وقالوا: المقصود هو تعظيم الشيء الذي تم القسم به، وهو أن الرسل "حلوا" في مكة، والتي تجمع بين شرفين، الشرف الذي منحها إياه الله، وشرف الرسل ما زاد في التعظيم والشرف، ولذلك استحق هذا القسم.

ورد في البحر المحيط: "إنه - تعالى - أقسم بها لما جمعت من الشرفين، شرفها بإضافتها إلى الله - تعالى- ، وشرفها بحضور رسول الله (ﷺ) وإقامته فيها فصارت أهلاً لأن يقسم بها. (البحر المحيط 745هـ، 1420هـ، صفحة 8/475). وجاء في تفسير البيضاوي: "أقسم سبحانه بالبلد الحرام، وقيده بحلوله عليه السلام فيه، إظهاراً لمزيد من فضله وإشعاراً بأن شرف المكان بشرف أهله" (أنوار التنزيل، 1305هـ، صفحة 799). ، وجاء في (التبيان في أقسام القرآن): "إنه إذا كان الحل من الحلول، فهو متضمن لهذا التعظيم مع تضمنه أمراً آخر، وهو الإقسام ببلده المشتمل على رسوله وعبد، فهو خير البقاع، وقد اشتمل على خير العباد. فجعل بيته هدى للناس ونبيه إماماً وهادياً لهم، وذلك من أعظم نعمه وإحسانه إلى خلقه" (التبيان في أقسام القرآن، 1982م، 1402هـ، صفحة 26). وقيل: "هو نفي للقسم. والمعنى: لا أقسم بهذا البلد إذا لم تكن فيه خروجك منه" (فتح القدير، 1349هـ، صفحة 5، 430). ومن معاني "الحل": أنها تأتي بمعنى اسم المفعول، أي مستحل، فعلى هذا يكون المعنى: وأنت مستحل قتلك لا تراعي حرمتك في هذا البلد الحرام الذي يأمن فيه الناس على دمائهم وأموالهم والذي يأمن فيه الطير والوحش. وجاء في (الكشاف): "ومن المكابدة أن على عظم حرمتك، يستحل بهذا البلد، كما يستحل الصيد في غير الحرم. عن شرحبيل: يحرمون أن يقتلوا صيداً ويعضدوا بها شجرة ويستحلون إخراجك وقتلك. فيه تثبت من رسول الله (ﷺ) وبعث على احتمال ما يكابد من أهل مكة وتحالهم في عداوته".

أُوسَلَى رسول الله (ﷺ) بالقسم ببلده على أن الإنسان لا يخلو من مقاساة الشدائد" (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 1367هـ، 1948م، صفحة 338).

ونذكر في "روح المعاني": "وهناك تأكيد لمعناه من خلال ذكر بعض المعاناة في البداية الجميلة، وإدخال لانتقاد المشركين، ليظهر أن دمهم مستباح بمعنى أنه لا يحترم، كأنه قيل: كيف يمكن أن يكون مثلك، على الرغم من عظمتك، مستباحاً في هذا البلد ولا يحترم كما يُستباح الصيد خارج الحرم... وفي تأكيد أن الإنسان في كرب، بالقسم تدعيم لرسالة النبي (ﷺ) ولحثه على الاطمئنان على نفسه النبيلة، لأن هذا قدر محتوم" -

"روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، 1270 هـ، صفحة 133، 30، و في "التبيان في أقسام القرآن": "وفي الآية قراءة ثالثة، وهي أن المعنى هو أنك مستباح لقتلك وطردك من هذا البلد الآمن الذي يامن فيه الطيور والوحوش والمعتدين، وقد استباح قومك حرمك، ولا يقطع أحدهم شجرة أو ينفر صيداً. وعلى أي حال، فهي جملة اعتراضية في وسط القسم، مكانها من أحسن وأجمل المواقع. فهذا القسم يتضمن تعظيم بيته ورسوله" -

"التبيان في أقسام القرآن، 1982م، 1402هـ، صفحة 26"، ومن معاني "الحل" أنها تأتي بمعنى الحلال ضد الحرام، أي: "وأنت لديك الحرية في هذا البلد ويجوز لك قتل من ترغب، وكان هذا يوم فتح مكة" - (البحر المحيط 745هـ، 1420هـ، صفحة 474، 8)، "التفسير الكبير، صفحة 31/180"، وورد في "الكشاف": "يعني وأنت حل به في المستقبل، يمكنك أن

تفعل ما تريد من قتل وأسر. فإن سألت عن نظير قوله: وَأَنْتَ حَلٌّ فِي مَعْنَى الْمُسْتَقْبَلِ؟ فَأَجِيبُكَ بقوله: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ سورة الزمر، الآية 30، ومثل هذا واسع في حديث الناس". (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 1367هـ، 1948م، صفحة 338، 339)، وانظر (روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، 1270 هـ، صفحة 130/30).

وفقاً للقولين الأخيرين، فإن "لا" تستخدم للنفي، وهذا يعني: لا أقسم بهذا البلد بينما أهله يتجاهلون حرمته، أو لا أقسم به رغم أن أهله يفعلون أفعال تجعل حرمته مستباحة في هذا البلد المحمي. وبالتالي، في كلا الرأيين، "لا" تنفي.

في كتاب "البحر المحيط" ذكر: "قال ابن عطية: وهذا يعتمد على قول من يعتبر "لا" للنفي، أي: أن الله لا يقسم بهذا البلد، لأن أهله قاموا بأفعال تؤدي إلى إبادة حرمته". (البحر المحيط 745هـ، 1420هـ، صفحة 474/8). وتفسير آخر يشير إلى: "وأنت معفى في هذا البلد من الأفعال السيئة التي يرتكبها أهله، وتكون بعيدة عنها." في كتاب روح المعاني حول تفسير القرآن الكريم، وأيضاً يمكن الرجوع إلى تفسير التفسير الكبير. كل هذه المعاني مترابطة، فهو معفى في هذا البلد، يبلغ رسالة ربه، ويفصل نفسه عن آثامهم، ويبتعد عن أفعال الجاهلية، بينما استبيحت حرمته وأرادوا قتله عند

تواجهه هناك لنشر دعوة ربه. وهذا يدل على أنه مسموح لهذا الرسول أن يُقتل أو يؤسر في هذا البلد يوم الفتح، وهو ما لا يُسمح به لغيره. وهذا يتوافق مع وعده بالنصر، حيث يظهر كيف أن كلمة "حل" تجمع كل هذه المعاني المختلفة بعكس ما لو قال: "حال" أو "مقيم" أو "حلال" مما سيقصر الفهم على معنى واحد. فقد جمع بين اسم الفاعل وهو الحل، واسم المفعول وهو المستحل، والمصدر وهو الحلال. انظر إلى اتساع المعنى! وكل هذه المعاني مرتبطة بما تم القسم عليه وهو قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ بأفضل وأوثق الارتباط كما سنوضح لاحقاً.

قد يتساءل بعضهم : لماذا لم يقل: "لا أقسم بهذا البلد الأمين" كما تم القسم في سورة التين؟ والجواب هو أنه عندما تم ذكر التحمل في هذا البلد وما تم انتهاكه من الحرمات وما عانى منه الرسول (ﷺ) لم يكن مناسباً ذكر الأمن. كما لا يصح القول إنه مسموح لرسول الله (ﷺ) أن يفعل ما يشاء كالتخلص من الأرواح أو الأسر كما حدث في فتح مكة، فهذا أيضاً غير ملائم لذكر الأمن. بل إن جو السورة لا يتناسب مع الأمن، إذ إن موضوع السورة يتعلق بالمعاناة والمشقات، حتى أنه لم يُذكر جزاء المؤمنين في الآخرة، بل تم الحديث عن جزاء الكافرين وهو جزاء لا ينجو منه الكافر أبداً. لذلك لم يكن ذكر "الأمين" مناسباً.

يمكن أن تسأل: لماذا تم تكرار "بهذا البلد" في الآيتين عندما قيل: "وأنت حل بهذا البلد"، ولم يُقال: "وأنت حل به؟" الجواب هو أن هذا هو أفضل نوع من التكرار، ولا يمكن أن يأتي الضمير بنفس جودة المعنى. من المعروف أن العرب عندما يهتمون بكلمة، يعيدونها، وهذا قد يكون في مواقف التشويق أو الحزن أو التعظيم وغيرها من المواضيع التي تستدعي الانتباه والاعتناء. (ملاك التأويل القاطع بنوي الإلحاد والتعطيل في توجيهه المتشابه اللفظ من أي التنزيل، 1405هـ - 1985م، صفحة 883/2). والتكرار في الآية لتعظيم بلد الله الحرام فقد قال: (لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ)، أي: وأنت حل بهذا البلد تلقى العنت والظلم والأذى، بهذا البلد الذي يأمن فيه الخائف، ويأمن فيه الوحش والطير، فأى انتهاك لحرمة هذا البلد، وأي جور يقع بهذا البلد؟ وما إلى ذلك من المعاني الأخرى، التي تقال في تفسير كلمة "حل".

جاء في "ملاك التأويل": يمكن للسائل أن يستفسر عن تكرار كلمة "البلد" وكيف تم استخدامها في الآيتين وماذا يعني ذلك من حيث البلاغة عند الفصحاء. والجواب هو أنه سبق أن تم ذكر أن العرب عندما تعطي أهمية لشيء ما، تقوم بتكراره، وهذا يعد من الفصاحة لديهم. ومن الأمثلة على ذلك قوله:

وإن صخراً لهو موالينا وسيدنا وإن صخراً عندما نبادر سنحارب  
وإن صخراً يشكل إثم الهداة به كما لو كان علماً في قمته نار.

وذكره ظاهراً لما يحزر هذا المعنى من تعظيمه، لما فيه من التنبيه والتحريك". (ملاك التاويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل، 1405هـ - 1985م، صفحة 2/ 950، 952). وقيل إن التكرير جيء به لفائدة أخرى وهي أن هذا البلد حرام لا تستحل حرمة، ولا يسفك فيه دم ولا يروع فيه أمن، ولكن الله أحل لنبيه يوم فتح مكة ما لم يحل لغيره من قتل وأسر فكان هذا البلد في هذا اليوم غيره في سائر الأيام وأنه أصبحت له صفة أخرى. وهي صفة الحل فجمع صفتي الحرم والحل فتكرر لتكرير الوصفين، وكأنه أصبح بلدين لا بلداً واحداً.

قال - تعالى- : **(وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ)**: هناك اختلاف حول من هو الوالد وما وُلد، فقيل: هو آدم وذريته. "وبذلك يشمل القسم أصل المكان وأصل السكان، فتعود البلاد إلى مكة والعباد إلى آدم". "التبيان في أقسام القرآن، 1982م، 1402هـ، صفحة 25". وقيل: إنه رسول الله وأبؤه، فعلى هذا "أقسم ببلده الذي هو مولده وحرم والده ومنشأ والده إسماعيل وبمن ولده، وإن سألت لماذا تم التكرار؟ فالجواب هو للإبهام الجيد الذي يستحق المدح والتعجب". "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 1367هـ، 1948م، صفحة 3/ 339". وقيل: إنه يشمل كل والد وما وُلد من العاقل وغيرهم. "لا يراد به معين، بل ينطلق على كل والد. وقال ابن عباس ذلك. قال: هو على العموم يدخل فيه جميع الحيوان (البحر المحيط 745هـ، 1420هـ، صفحة 8/ 475)، (روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، 1270هـ، صفحة 30/ 135)، (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 1367هـ، 1948م، صفحة 339/3).

وإن ما أراه هو أنه يتضمن كل والد وطفل، وهذا يشمل الأجداد ولا يقتصر على واحد، والسبب في ارتباطها بما تم ذكره واضح، لأن الولادة تتطلب جهداً وصبراً، وبالتالي فإن قوله: **(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ)** بيّن.

وكما ترتبط بما سبق ذكره في بداية السورة، فإنها تتصل أيضاً بنهاية السورة، حيث يقول: **(وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ)**؛ لأن الآباء يحتاجون إلى الصبر والرحمة لرعاية أولادهم وتأمين طعامهم، وهذا يوضح كيف أن الآية مترابطة بشكل قوي بأول السورة وآخرها. ثم انظر كيف انتقل من الوالد وما ولد إلى خلق الإنسان وهو من جملة الوالد وما ولد. فخصه من بين هذا العام لأن مدار الكلام معقود عليه. ثم انظر كيف قال: **(وَمَا وَلَدٌ)** ولم يقل (ومن ولد) ولذلك أكثر من سبب. فإن "ما" عامة، و"من" خاصة، فإن "ما" تقع لذوات غير العاقل، وتقع لصفات من يعقل، فنقول: (أركب ما

تركب)، و(أكل ما تأكل) فهي هنا أدوات غير العاقل. وتقع لصفات العقلاء قال تعالى: (فَاتَكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النَّسَاءِ مَثْنَى وَتِلْثَ وَرُبْعَ) (سورة النساء الآية 3). وقال: (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى) (سورة آل عمران الآية 36). وقال: (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى) (سورة الليل الآية 3) وهو الله سبحانه. ونقول: (زيد ما زيد)، قال تعالى: (وَأَصْحَبُ الْأُيُمَيْنِ مَا أَصْحَبُ الْأُيُمَيْنِ) (سورة الواقعة الآية 29). فهي تكون للعاقل وغيره، فهي أعم وأشمل من "من". قال الفراء: "وصلحت" ما "للناس ومثله (وما خلق الذكر والانثى) وهو الخالق للذكر والانثى مثله: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) ولم يقل "من طاب". (معاني القرآن، 1373هـ / 1955م، صفحة 3/263). ثم إن لفظها يوحي بالسعة والشمول، ذلك أنها منتهية بحرف الإطلاق وهو الألف، وهو الذي يمتد فيه النفس بخلاف "من" الذي ينتهي بحرف مقيد، وهو النون الساكنة، فجعل المنتهي بحرف مطلق للمطلق الكثير، والمنتهي بحرف مقيد للقليل المقيد بالعقل. فجاء بـ"ما" لتناسب العموم والشمول في الآية ثم إن هذه الآية مناسبة لجو السورة على وجه العموم، فهي مرتبطة بإطعام المحتاجين في اليوم ذي المسغبة، فإن الوالد يسعى إلى اطعام ولده ويلقي من أجل ذلك ما يلقي من مشقة ومكابدة. إن جو السورة تسيطر عليه المكابدة والمشقة والصبر والرحمة وكل ذلك يعاينه الوالد لحفظ ولده ورعايته. ثم انظر من ناحية أخرى كيف يحتمل قوله (ووالد وما ولد) وما تحتمله كلمة "حل" من السعة في احتمالات المعنى، وكيف ناسب ذلك سعة "ما" نطقاً ومعنى.

قال تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ)، الكبد: الشدة والمشقة (لسان العرب، صفحة 4/379) ومعنى "في كبد" أنه "يكابد مشاق الدنيا والآخرة، ومشاقه لا تكاد تنحصر من أول قطع سرته إلى أن يستقر قراره، إما في جنة فتزول عنه المشقات، وإما في نار فتتضاعف مشاقه وشدائده". (لسان العرب، صفحة 4/379)، (البحر المحيط 745هـ، 1420هـ، صفحة 8/475). وقيل: "يكابد الشكر على السراء ويكابد الصبر على الضراء لا يخلو عن أحدهما" (فتح القدير، 1349هـ، صفحة 5/431). لقد عبر عن هذا المعنى بقوله: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) ولم يقل: "يكابد" أو "مكابداً" ونحو ذلك، ذلك أن "في" تفيد الظرفية والوعاء. ومعناه: أن الإنسان خلق مغموراً في المشاق والشدائد والصعاب منغمساً فيها كما ينغمز الشيء في الماء، وكما يكون الشيء في الوعاء. فالشدائد تحيط بالإنسان لا تنفك عنه إلى أن يموت. وبعد الموت إما أن يجتاز العقبة، فيدخل الجنة فتزول عنه الشدائد والمصائب، وإما أن لا يجتازها فيبقى في الشدائد أبد الأبد في النار وهي أكبر الشدائد وأعظمهن. ومن معاني "الكبد" أيضاً القوة والشدة والصلابة. جاء في "لسان العرب": وكبد كل

شيء عظم وسطه وغلظه، كبد كبدًا وهو أكبد، ورملة كبداء عظيمة الوسط. والكبداء: الرحى التي تدار باليد، سميت كبداء لما في ادارتها من المشقة. وفي حديث الخندق: فعرضت كبد شديدة، وهي القطعة الصلبة من الأرض، وأرض كبداء وقوس كبداء: أي شديدة" (لسان العرب، صفحة 4/379) "كبد". وهذا المعنى من لوازم المعنى الأول، فإن الذي خلق مكابداً للشدائد متحماً مشاق الدنيا لابد أن يكون خلق مستعداً لذلك قوياً عليه شديد التحمل له.

هذه الآية هي جواب القسم الذي تقدم، فقد أقسم بالبلد الحرام في وقت حلول الرسول الأعظم فيه، وأقسم بالوالد وما ولد على أن الإنسان خلق مغموراً في الشدائد والمشاق. والسورة مبنية على هذا الأمر، فهي مبنية على مكابدة الإنسان للشدائد والمصائب. وكل لفظة وكل تعبير في هذه السورة مبني على ذلك. أما ارتباط القسم بالجواب، فهو واضح، فقد ذكرنا ارتباط قوله تعالى: (لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حَلُّ بِهَذَا الْبَلَدِ) بهذه المكابدة وكيف كان الرسول (ﷺ) يلقي من قومه من مشقة وشدة وهو يبلغ دعوة ربه. وهذه إشارة إلى أن الدعاة ينبغي أن يوطنوا أنفسهم على المكابدة والصبر، فإن هذا من لوازم الدعوة إلى الله تعالى، فقلما يكون الداعية في عافية من ذلك. والفتنة مشقة كبيرة على الإنسان أن يكابد ويجاهد للنجاة منها. ثم انظر من ناحية أخرى كيف ارتبطت مفردات القسم بكل معانيها بقوله: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ). فالحل كما ذكرنا في كل معانيها مرتبطة بهذا الأمر، فهي إذا كانت بمعنى الحال والمقيم فهي مرتبطة به، ذلك أن الرسول (ﷺ) في أثناء حلوله بمكة كان يكابد ويتحمل من أصناف الأذى والمشاق الشيء العظيم فهو في كبد من ذلك، وكان يتلقى ذلك بصبر وثبات، فهي مرتبطة بالكبد بمعنييه المشقة والقوة. وإذا كانت بمعنى اسم المفعول، أي: مستحل قتلك وإيذاؤك لا تراعي حرمتك، فهي مرتبطة ارتباطاً واضحاً فهذا كله مشقة ونصب. وإذا كانت بمعنى الحلال ضد الحرام، وذلك في يوم الفتح فارتباطها بها كذلك واضح، ذلك لأن الكفار آنذاك في كبد ومشقة وكنت والمسلمون في قوة وغلبة ونصر، فعند ذلك تكون مرتبطة بالكبد بمعنييه، المشقة والقوة. وإذا كانت بمعنى أنك حل من أعمالهم منخرج من آثامهم بريء منها فهي مرتبطة بها كذلك، ذلك أنه يكابد ويجاهد ليخرج عن مألوف عادات قومه وأفعالهم، ويكابد للقيام بفضائل الأعمال وجلالها، وهي أمور مستكرهة على النفس ثقيلة عليها، تحتاج إلى مكابدة وقوة للقيام بها.

قال تعالى: (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) (سورة المزمل الآية 4). وقال (ﷺ): "حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات". فهي في كل معانيها مرتبطة بالجواب أحسن ارتباط

وأتمه وكذلك قول: ((ووالد وما ولد)) مرتبط بالجواب أحسن ارتباط وأتمه، كما ذكرنا فهو مرتبط بـ "الكبد" بمعنييه: المشقة والقوة. فقد ذكرنا أن الولادة مشقة وعنت، وهي تحتاج إلى قوة ومثابرة ومكابدة لحفظ المولود وتربيته وبقائه وتوفير غذائه. كما أن هذه الآية مرتبطة بما بعدها من اقتحام العقبة، ومشاق الجوع وغيرها أتم ارتباط، كما هو ظاهر وكما سنبين ذلك.

قال تعالى: (أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ). قيل: إن المعنى بقوله: "أيحسب" بعد "صناديد قريش الذين كان رسول الله (ﷺ) يكابد منهم ما يكابد، والمعنى: أيطن هذا الصناديد القوي في قومه المتضعف للمؤمنين أن لن تقوم قيامه، ولن يقدر على الانتقام منه وعلى مكافأته بما هو عليه" (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 1367هـ، 1948م، صفحة 3/339). وقيل: أن المعنى به الإنسان، أي: أيطن هذا الإنسان الذي خلق مكابداً شديداً، أن لن يقدر عليه أحد؟ جاء في (البحر المحيط): "والظاهر أن الضمير في "أيحسب" عائد على الإنسان، أي: هو لشدة شكيمة وعزته وقوته، يحسب أم لا يقاومه أحد، ولا يقدر عليه أحد لاستعصامه بعده" (البحر المحيط 745هـ، 1420هـ، صفحة 8/475). وقيل إن التهديد "مصروف لمن يستحقه" (روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، 1270هـ، صفحة 8/135). وجاء في التبيان: "ثم أنكر سبحانه على الإنسان ظنه وحسبانه أن لن يقدر عليه من خلقه في هذا الكبد والشدة والقوة التي يكابد بها الأمور. فإن الذي خلقه كذلك أولى بالقدرة منه وأحق. فكيف يقدر على غيره من لم يكن قادراً في نفسه. فهذا برهان مستقل بنفسه مع أنه متضمن للجزاء الذي مناطه القدرة والعلم فنبه على ذلك بقوله: (أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ)، وبقوله: (أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَزِدْ أَحَدٌ) فيحصى عليه ما عمل من خير وشر ولا يقدر عليه فيجازه بما يستحقه" (التبيان في أقسام القرآن، 1982م، 1402هـ، صفحة 26). وارتباط هذه الآية بما قبلها واضح، فالذي خلق يكابد المصائب والمشاق لابد خلق مستعداً لاحتمال ذلك ولا بد أن يكون شديد الخلق قوياً، وهو من معاني "الكبد" كما ذكرنا.

قال تعالى: (تَحْنُ خَلْقُهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ) (سورة الإنسان الآية 28). فهذا الذي خلق شديداً قوياً يكابد المصائب والمشاق وقد يسبق إلى وهمه أن لن يقدر عليه أحد، فيهدده ربه ويتوعده إذا كان عنده هذا الحساب بأن الذي خلقه وزوده بهذه القوة والشدة أقدر منه على نفسه. والظاهر أن هذا الحساب واقر في نفوس البشر فهم يتصورون أنه لا يتمكن منهم أحد ولا يقدر عليهم أحد، ولذا تراهم يعيشون في غطرسة وكبرياء وظلم بعضهم لبعض، معتصمين بجبروتهم وقوتهم لا يحسبون لمن خلقهم حساباً، ولو حسبوا حساباً لخالقهم وربهم القوي القادر لتضامنوا وتواضعوا. ثم إن هذه الآية مرتبطة بقوله تعالى:



(وَأَنْتَ جَلُّ بِهَذَا الْبَلَدِ) أي: ألا يتصور هؤلاء الذين ينتهكون محارم البلد الحرام ولا يراعون لك حرمة فيؤذونك ويعذبونك مستندين إلى قدرتهم وجبروتهم، ألا يظنون أن هناك من هو أقدر عليهم منهم عليك؟ فهي مرتبطة بما قبلها أتم ارتباطاً وأحسنه. جاء في (تفسير الرازي): "أعلم أنا فسرنا "الكبد" بالشدة في القوة، فالمعنى أحسب ذلك الإنسان الشديد أنه لشدته لا يقدر عليه أحد، وإن فسرناه بالمحنة والبلاء، كان المعنى تسهيل ذلك على القلب. كأنه يقول: وهب أن كان في النعمة والقدرة، أفيظن أنه في تلك الحالة لا يقدر عليه أحد" (التفسير الكبير، صفحة 31/183).

قال تعالى: (يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَدًا). اللبد: هو الكثير المجتمع من تلبد الشيء إذا اجتمع. (روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، 1270 هـ، صفحة 30/136). ومعنى الآية: إنه يقول إنه أنفق مالاً كثيراً، وهو يقول ذاك إما على جهة الافتخار أو على جهة التحسر. جاء في (الكشاف): "يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر". (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 1367 هـ، 1948م، صفحة 3/339). وجاء في (روح المعاني): "أي: يقول ذلك وقت الاغترار فخراً ومباهاة وتعظيماً على المؤمنين وأراد بذلك ما أنفقه رياء وسمعة. وقيل: المراد ما تقدم أولاً، وإلا أن هذا القول وقت الانتقام منه، وذلك يوم القيامة. والتعبير عن الانفاق بالإهلاك لما أنه لم ينفعه يومئذ" (روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، 1270 هـ، صفحة 30/136).

وقد عبر عن الإنفاق بالإهلاك، فإنه لم يقل: "أنفقت مالاً" كما هو شائع في استعمال القرآن الكريم. واختيار تعبير الإهلاك في هذا الموطن أحسن اختيار وأجمله، فإنه المناسب لجو السورة، وذلك أنه مناسب لجو المشاق والشدائد والمحن التي تؤدي إلى الهلاك وتقضي به. وهو متناسب مع ما يعايناه الرسول وأصحابه في البلد الحرام من الشدائد والمحن التي قد أدت ببعضهم إلى الهلاك كياسر وسمية، ومتناسب مع حسابان الإنسان أن لن يقدر عليه أحد فيهلكه، ومتناسب مع ذكر العقبة التي قد تقضي إلى الهلاك. ومتناسب مع ذوي المسغبة من اليتامى والمساكين وهاكهم من الجوع إن لم يطعموا، ومتناسب مع خاتمة أصحاب المشأمة التي هي هلاك مقيم. وعبر عن الانفاق بالإهلاك لأسباب أخرى غير هذه. جاء في (روح المعاني): "وعبر عن الانفاق بالإهلاك إظهاراً لعدم الاكتراث، وأنه لم يفعل ذلك رجاء نفع فكأنه جعل المال الكثير ضائعاً" (روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، 1270 هـ، صفحة 30/136). وجاء في (التبيان): "ثم أنكر سبحانه على الإنسان قوله: (أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَدًا) وهو الكثير الذي يلبد بعضه فوق بعض، فاقتصر هذا الإنسان بإهلاكه وإنفاقه في غير وجهه، إذ لو أنفقه في وجوه التي أمر بإنفاقه فيها

ووضعه مواضعه لم يكن ذلك إهلاكاً له بل تقرباً به إلى الله وتوصلاً به إلى رضاه وثوابه وذلك ليس بإهلاك له. فأنكر سبحانه افتخاره وتبجحه بإنفاق المال في شهواته وأغراضه التي إنفاقه بها إهلاك له" (التبيان في أقسام القرآن، 1982م، 1402هـ). فانظر أي اختيار هذا. ثم انظر أيحسن "انفقت" مكان "أهلكت" ههنا؟ واختيار "اللبد" في الآية مكان "الكثير" اختيار دقيق ذلك أن اللبد معناه الكثير المجتمع من تلبد الشيء إذا اجتمع. جاء في (الكشاف): "لبداً قرئ بالضم والكسر جمع أبدة ولبدة، وهو ما تلبد يريد الكثرة" (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 1367هـ، 1948م، صفحة 3/339). وهو متناسب مع اجتماع الكفرة لإيذاء الرسول والمسلمين لصدهم عن دعوتهم كما قال تعالى: (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) (سورة الجن الآية 19). فاجتماع المال في الإهلاك مناسب لاجتماع الكفرة على الرسول لإهلاكه، وإهلاك دعوته وهو حل بهذا البلد. فانظر حسن هذا الاختيار وعلو هذا التعبير. ثم انظر جو الاجتماع الذي تقيده كلمة (لبد) وشيوعه في السورة في الوالد وما ولد، وفي العينين، وفي اللسان والشفنتين في آلة النطق، وفي النجدين وليس نجداً واحداً فإنه ذكر نجدين ولم يذكر نجداً واحداً كما في قوله تعالى: (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ) (سورة عبس الآية 20)، وقوله: (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) (سورة الانسان الآية 3).

وفي تفسير العقبة بجملة أمور، وفي ذكر المؤمنين بصيغة الجمع (الذين ءامنوا) واجتماعهم على التواصي بالصبر والمرحمة أي: يوصي بعضهم بعضاً، ثم في اجتماع أهل الكفار في جهنم وإيصاد النار عليهم. فانظر حسن اختيار كلمة "لبد" ههنا، ثم انظر هل تغني عنها كلمة "الكثير"؟

قال تعالى: (أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ). المعنى: هل يعتقد هذا الشخص الذي يدعي أنه صرف الكثير من المال أنه لم يراه أحد؟ أم يظن أن أفعاله مخفية ولا أحد يعرف حقيقتها؟ فالله يعلم إن كان قد أنفق أموالاً أو لم ينفق شيئاً، وهو فقط كاذب في قوله. وإذا كان قد أنفق، فهو يعرف السبب والدافع الذي من أجله صرف المال. ورد في "الكشاف": "يعني أن الله كان يراه وكان عليه رقيباً، ويجوز أن يكون الضمير للإنسان" (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 1367هـ، 1948م، صفحة 3/339). وجاء في (البحر المحيط): "أيحسب أن أعماله تخفى، وأنه لا يراه أحد، ولا يطلع عليه في إنفاقه ومقصد ما يبتغيه مما ليس لوجه الله منه شيء" (البحر المحيط 745هـ، 1420هـ، صفحة 8/475). جاء في التبيان: ثم عاتبه بقوله: "أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ" واستخدم هنا اللفظة التي تدل على الفعل الماضي مقابل قوله: "أَهْلَكْتُ مَالاً لُبْدًا". فهو في الماضي. فهل يظن أنه لم يُشاهد ما أنفقه وما ضيعه؟

ومن الأمور التي ذُكرت سابقاً، إنه أشار إلى صفات الله عز وجل، مثل القدرة والعلم التي تظهر من الرؤية، وهما من أقوى أسباب التهديد. ثم قدم برهاناً على قدرته ومعرفته بقوله: (أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ). أفترى أن الذي يجعل للإنسان عينين يبصر بهما لا يبصر هو ولا يرى، وأن الذي أقدر الإنسان على النطق لا يستطيع أن يتكلم، وأن الذي هداه إلى طريقَي الخير والشر ليس عنه علم؟

جاء في تفسير (الرازي): "واعلم أنه تعالى لما حكى عن ذلك الكافر قوله: (أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ) أقام الدلالة على كمال قدرته فقال: (أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)". (التفسير الكبير، صفحة 31/184). وجاء في (التبيان): "ثم ذكر برهاناً مقدرًا أنه سبحانه أحق بالرؤية وأولى من هذا العبد الذي له عينان يبصر بهما. فكيف يعطيه البصر من لم يره؟ وكيف يعطيه آلة البيان من الشفتين واللسان، فينطق ويبين عما في نفسه ويأمر وينهى من لا يتكلم ولا يكلم، ولا يخاطب ولا يأمر ولا ينهى؟ وهل كمال المخلوق مستفاد إلا من كمال خالقه؟ ومن جعله عالماً بنجدي الخير والشر - وهما طريقاهما - أليس هو أولى وأحق بالعلم منه" (ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن، 1982م، 1402هـ، صفحة 27). ثم انظر من منظور مختلف إلى علاقة الآية الكريمة: "أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ" بما جاء بعدها: "أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ". فهنا نلاحظ ربط العين بالرؤية. - أيضاً، - نرى الارتباط بين قوله: "ولساناً وشفتين" وعبارته: "يقول أهلك ما لا لبداً". حيث أن اللسان والشفتين يعملان كأداة للتعبير عما يرغب في قوله. لذا، هو يعيش في نعم الله ويعادي الله وأنبياءه ويدعو إلى غير ذلك. وفي قوله: "وهديناه النجدين"، يشير النجد إلى الطريق المرتفع. (البحر المحيط ت 745هـ، 1420هـ، صفحة 8/473)، (فتح القدير، 1349هـ، صفحة 5/431). جاء في (لسان العرب): "النجد من الأرض قفافها وصلابها، وما غلط منها وأشرف وارتفع واستوى، ولا يكون النجاد إلا معاً أو صلابة من الأرض في ارتفاع مثل الجبل معترضاً بين يديك يرد طرفك عما وراءه" (لسان العرب، صفحة 4/422). والمقصود بالنجدين: طريقا الخير والشر. وقيل: "النديان" (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 1367هـ، 1948م، صفحة 3/339)، (البحر المحيط ت 745هـ، 1420هـ، صفحة 8/476). والأول هو الأكثر شهرة وقد اختاره معظم المفسرين. وعن أبي هريرة، قال النبي عليه السلام: "هناك طريقتان، طريق الخير وطريق الشر، ويجب ألا يفضل أحدكم طريق الشر على طريق الخير". (التفسير الكبير، صفحة 184/31). استخدام كلمة "نجد" هنا مناسب بشكل لطيف، لأنه لم يقل كما ذكر في مواضع أخرى "إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ" "سورة الإنسان الآية 3" أو (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ) (سورة عبس الآية 20) أو (أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (سورة الفاتحة الآية 5).

هذا التعبير يتمشى مع أجواء السورة، حيث أن السير في النجد يتطلب جهداً وصعوبة بسبب الارتفاعات، وهو يتناسب مع الكفاح والمشقة التي واجهها الإنسان، وكذلك مع مواجهة العوائق وما يتطلبه ذلك من صعوبة وشدة.

قال - تعالى -: (فَلَا أَقْتَحِمُ الْعُقَبَةَ)، العقبة "الطريق في الجبل وعر. والعقبة الجبل الطويل يعرض للطريق، فيأخذ فيه وهو طويل صعب شديد" (لسان العرب، صفحة 2/111). وسميت بذلك لصعوبة سلوكها. (فتح القدير، 1349هـ، صفحة 5/432). والاقتراح: هو المجاوزة بشدة ومشقة (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 1367هـ، 1948م، صفحة 340/3)، والقحمة هي الشدة (المصدر السابق 340/3)، والمهلكة والأمر العظيم (التفسير الكبير، صفحة 184/31). والمقصود بالعقبة الأعمال الصالحة على سبيل الاستعارة. جاء في البحر المحيط: "العقبة استعارة لهذا العمل الشاق من حيث هو بذل مال تشبيهه بعقبة الجبل، وهو ما صعب منها وكان صعوداً، فإنه يلحقه مشقة في سلوكها. ويقال: قحم في الأمور: رمى نفسه من غير روية" (البحر المحيط 745هـ، 1420هـ، صفحة 476/8). وجاء في (روح المعاني): "وهي هنا استعارة لما فسرت به من الأعمال الشاقة المرتفعة القدر عند الله تعالى، ويجوز أن يكون قد جعل ما ذكر اقتحاماً وصعوداً شاقاً، وذكره بعد النجدين جعل الاستعارة في الذروة العليا من البلاغة" (روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، 1270هـ، صفحة 137/30). ومعنى الآية أنه: "لم يشكر تلك الأيادي والنعم بالأعمال الصالحة من فك الرقاب وإطعام اليتامى والمساكين. والمعنى: أن الاتفاق على هذا الوجه، هو الإنفاق المرضي النافع عند الله لا أن يهلك ماله لبداً في الرياء والفخر، فيكون مثله (كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرَثَ قَوْمٍ) (سورة آل عمران الآية 117)" (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 1367هـ، 1948م، صفحة 339/3).

وجاء في (التبيان في أقسام القرآن): "ولم يقتحم العقبة التي بينه وبين ربه التي لا يصل إليها، حتى يقتحمها بالإحسان إلى خلقه بفك الرقبة، وهو تخليصها من الرق، ليخلصه الله من رق نفسه ورق عدوه، وإطعام اليتيم والمساكين في يوم المجاعة، والإخلاص له سبحانه بالإيمان الذي هو خالص حقه، وهو تصديق خبره وطاعة أمره وابتغاء وجهه وبنصيحة غيره أن يوصيه بالصبر والرحمة ويقبل وصية من أوصاه بها، فيكون صابراً رحيماً في نفسه معيلاً لغيره على الصبر والرحمة" (القيم، 1982م، 1402هـ، صفحة 27). واختيار هذا التعبير أنسب شيء ههنا، فاختيار "العقبة" بعد "النجدين" اختيار بديع، وهو كما جاء في (روح المعاني): إن ذكرها بعد النجدين جعل الاستعارة في الذروة العليا من البلاغة، ذلك أن النجد هو الطريق المرتفع الذي يؤدي إلى العقبة، وهي المسار الصعب في الجبل، حيث تقع العقبة في النجد غالباً. إن اختيار كلمة "الاقتراح" التي تحمل معاني

القوة والمخاطرة هو الأنسب لوصف صعوبة هذه العقبة، لأنها لم تُعبر عن سهولة المرور منها، مما يُظهر مدى صعوبة هذه العقبة.

انظر كيف أن كل كلمة جاءت في مكانها الصحيح، وأن كل اختيار كان مناسباً لمضمون السورة. الكلمات "اقتحام" و"العقبة" تتناسب مع الآية التي تقول: "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ". لأن الكبد يعني "المشقة والقوة"، واقتحام العقبة يتطلب مجهوداً وتعباً، إضافة إلى الحاجة إلى قوة وصعوبة. انظر إلى مدى جمال التناسب. كما أن هذه الآية تتناسب مع ما يليها من الصعوبات والشدائد التي يعيشها المسكين واليتيم في اليوم الذي تعاني فيه المجتمعات من القحط. ثم تأمل العلاقة بين هذه الآية وبداية السورة ونهايتها، حيث أن الرسول (ﷺ) كان في حالة اقتحام العقبة في البلد الحرام، يواجه ما يواجهه من مشقة في نشر دعوة ربه، وفي نهايتها يوجد من لم يقتحم العقبة وبقي في عقبة جهنم إلى الأبد، وكانت عليهم النار مغلقة. بعد ذلك، اختيار "لا" في هذا الموضع هو اختيار غريب، وقد توقف عنده المفسرون للحديث عنه وفهمه، لأن بعضهم رأى أن "لا" هنا تنفي الفعل الماضي، أي أنه لم يقتحم العقبة. ومن المعروف أنه عندما تنفي "لا" الفعل الماضي، يجب تكرارها إلا في حالات نادرة مثل قوله تعالى: "فلا صدق ولا صلى" (سورة القيامة الآية 30)، بينما لم تتكرر هنا. وقد أجابوا بأن المعنى متكرر هنا، لأن "العقبة" مفسرة بشيئين: فك الرقبة وإطعام المسكين، وكأن المعنى هو: فلا فك رقبة، ولا إطعام مسكين. (التفسير الكبير، صفحة 185/31)، (روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، 1270 هـ، صفحة 138/30). جاء في (روح المعاني): "والمتيقن عندي أكثرية التكرار، وأما وجوبه فليس بمتيقن" (روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، 1270 هـ، صفحة 138/30). وقيل: الفعل يعود إلى المستقبل، بمعنى أنه لا يتجاوز الحواجز. وإذا كان الفعل في الماضي يدل على المستقبل فلا حاجة لتكراره. (روح المعاني في تفسير القرآن، 1270 هـ، صفحة 139/30). وهناك رأي يقول إنه يعتبر دعاء، لذا لا ضرر من عدم تكراره، مثل قولهم: "لا فض الله فاك" أو "لا عافاه الله"، فهذا دعاء عليه ألا يقوم بفعل خير. (البحر المحيط، 745 هـ، 1420 هـ، صفحة 8/476)، ورد في كتاب "المغني": "ومثله في عدم ضرورة التكرار حيث لا يُقصد الاستمرار، لكن لا يعتبر دعاء قولك: والله لن أفعل هذا". وكذلك قول الشاعر: "كفى بالمحبين عذاباً في الدنيا والله لأعذبهم بعدها سقر". (مغني اللبيب عن كتب الأعراب، صفحة 1/243). وفي الفوائد في مشكل القرآن للعز بن عبد السلام حول هذه الآية: هناك إشكال في النفي باستخدام لا، فهي تشير إلى نفي المستقبل، والجواب يأتي بمعنى لم. والصحيح أن كليهما يشتركان مما يجعل النفي بها أبلغ، نظراً لما تخيله من نفي المستقبل في الأصل، أو يمكن اعتبارها على بابها، أي أن هذه الصفة

تقتضي عدم اقتحام العقبة أبدأ، مما يكون ذمّاً له. باعتبار صفته لا باعتبار عدم فعله وتضمنها معنى "لم" فيكون الذم أيضاً لعدم الفعل في الماضي" (بدائع الفوائد، صفحة 179). وقيل هي للاستفهام، والتقدير: أفلا اقتحم العقبة، وقد حذفت الهمزة، والمعنى: أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير؟" (تفسير ابن كثير، صفحة 513/4). وقال الآخر: هي تحضيض والأصل: ألا اقتحم العقبة ثم حذفت الهمزة، وهو ضعيف وليس لديه علم بأن "لا" وحدها تُستخدم لتحديد وليس معها الهمزة راجع "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، صفحة 1/244 البحر المحيط ت 745هـ، 1420هـ، صفحة 8/476

هذا هو الأهم مما يُقال عن "لا" ، ومن الواضح أن البيان يجمع عدة معاني، حيث يُشير إلى الماضي، إذ يُذكر عن شخص أنه استهلك ثروة كبيرة ويظن أنه لا يوجد من يمكنه محاسبته أو أن أحداً لم يعرف بما يقوم به - سواء كان هذا الفرد شخصاً محدداً أو نوعاً من الأشخاص، فهذا الوصف لديه لا ينخرط في العمل الصالح، فقد لم يؤمن، ولم يساعد الفقراء أو اليتامى، ولم يسهم في الخير. ومن الممكن أيضاً أن هذا الشخص، سواء كان فرداً أو نوعاً، لن ينخرط في العمل الصالح في المستقبل، لأن من يتصف بذلك لا يدخل في الخير إلا إذا آمن وغير من حاله. إذن، فهو لم يدخل في العمل الصالح في الماضي، ولن يفعل ذلك في المستقبل، بل سيبقى على حاله دائماً. كما يمكن أن يفهم هذا التعبير على أنه دعاء بحيث لا يدخل هذا الفرد أو النوع في العمل الصالح مثلاً ورد في قوله - تعالى - : "وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ" (سورة الهمزة الآية 1) وكذلك قوله: "فَقَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ" (سورة المنافقون الآية 1). فمن يتصف بهذه الصفات لا يُستحق الدعاء له بالخير. ولا يستبعد أن يفهم السؤال على أنه توبيخ وتنبيه لتقصيره وتشجيع له على الإنفاق مثلاً يُقال: "أفلا اقتحم العقبة" مع حذف الهمزة. وهناك أمثلة مشابهة في القرآن الكريم وكلام العرب الفصيح، مثل: "وَجَاءَ السَّحَرَةُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ" (سورة الأعراف الآية 113، 114) بدلالة ما قالوه لفرعون. وأيضاً في قوله: "إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ" (سورة الشعراء الآية 41-42). وكذلك قول الشاعر: "قالوا تحبها؟ قلت: بهراً. " معناه: أتحبها؟ كل هذه المعاني مقصودة ومطلوبة، لأن هذا التعبير يجمع عدة معاني في نفس الوقت، منها الماضي والمستقبل والتوبيخ والتشجيع والدعاء. فهو كشف أنه لم يدخل في العمل الصالح خلال حياته، وأنه لن يفعل ذلك أيضاً في المستقبل، وقد وبخه على ذلك، ودعا عليه بعدم الدخول فيه. لاحظ كيف جمع هذا التعبير كل هذه المعاني، وكلها مرغوبة. وإذا استخدم أي حرف آخر بدلاً من "لا" لما أفاد بتلك المعاني المتعددة. فلو قال: "ما اقتحم العقبة"

أو "لم يقتحم العقبة" لما أبلغ إلا عن الماضي. فلاحظ كيف أن "لا" متسعة المعنى وجمعت عدة معانٍ في تعبير واحد؟

قال تعالى: وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقْبَةُ . هذا الشكل يعد من أساليب التعظيم والمبالغة ونحوه قوله: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ) (سورة القارعة الآية 2) وقوله: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ) (سورة الحاقة الآية 2) تعظيماً لأمرها. ثم فسر العقبة بعد ذلك بقوله: (فَأَكْ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَمٌ... قال تعالى: (فك رقبة). وفك الرقبة: تخليصها من رق أو غيره. وفي الحديث: "أن رجلاً قال لرسول الله (ﷺ) دلني على عمل يدخلني الجنة، فقال: تعتق النسمة وتفق الرقبة. قال: أو ليسا سواء؟ قال: لا. إعتاقها أن تنفرد بعتقها. وفكها: أن تعين في تخليصها من قود أو غرم" (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 1367هـ، 1948م، صفحة 340/3). وجاء في (فتح القدير): "كل شيء أطلقته، فقد فككته، ومنه فك الرهن، وفك الكتاب. والفك في الأصل حل القيد، سمي العتق فكاً، لأن الرق كالقيد وسمي المرقوق رقبة، لأنه بالرق كالأسير المربوط في رقبة" (فتح القدير، 1349هـ، صفحة 432/5). اختيار هذا التعبير يعكس بشدة الحالة الصعبة التي يعاني منها الشخص المستعبد، وما يواجهه من كرب وصعوبات. الاستعباد يُعتبر من أقسى أنواع المعاناة. العلاقة بين الآية وبين قوله (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) ارتباط واضح بين.

قال الله - تعالى: - "أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ". كلمة "المسغبة" تعني المجاعة، وهي تشير إلى جوع عام، كما جاء في تفسيرها في روح المعاني في تفسير القرآن الكريم، وليس جوعاً خاصاً. الفارق بين المسغبة والسغب هو أن "السغب" تشير إلى الجوع بصفة عامة، بينما "المسغبة" تعني جوعاً شديداً، ويُقال إنها تعبر عن أيام الطعام فيها نادر. وهذا يدل على شدة الكرب والصعوبة، فإطعام الناس في مثل هذه الأيام له أهميته. هناك فرق بين تقديم الطعام للمحتاجين عندما يكون الطعام موجوداً بكثرة وبين تقديمه عندما يكون نادراً والخوف من فقدانه. هذا يمثل عقبة كبيرة في المجتمع، وعندما يُقدم الطعام في هذه الأوقات، يُعتبر تجاوزاً لتلك العقبة. "يتيمًا ذا مقربة" يعني اليتيم القريب في النسب حتى يكون هناك صلة ورعاية" (البحر المحيط 745هـ، 1420هـ، صفحة 467/8). ومع ذلك، من الضروري لكل فرد أن يقوم بالبحث عن أقربائه الذين يحتاجون المساعدة ليحدث التكافل والتراحم بينهم. (أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ) والمتربة مأخوذة من "ترب": "إذا افتقر، ومعناه التصق بالتراب" (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 1367هـ، 1948م، صفحة 340/3). وذو المتربة: هو الذي مأواه المزابل (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 1367هـ، 1948م، صفحة 340/3) وقيل: "وهم المطروحون على

ظهر الطريق قعوداً على التراب لا بيوت لهم" (البحر المحيط ت 745هـ، 1420هـ، صفحة 476/8) هما شيئان متماثلان. جاء بكلمة "أو" بدلاً من "و" لأن الواو تشير إلى الجمع، ومعناها أنه لو استخدم الواو، فلن يحقق الهدف إلا إذا أطلق الرقبة، وأطعم النوعين معاً. إذا أكل من نوع واحد فقط، فلا عبدة. وهذا ليس المراد، بل الهدف هو التنويع، والمقصود هو إطعام هذه الفئات من الناس، سواء كانوا أيتاماً أو مساكين، سواء تم ذلك معاً أو بشكل منفرد. وقد تم تقديم تحرير الرقبة قبل إطعام الأيتام والمساكين ليعكس أهمية الحرية في الإسلام، وأن التحرير هو الخطوة الأولى. لاحظ ما ورد في قوله: **(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ)** حيث أن هؤلاء يمثلون من هم في أشد الحاجة. ثم انظر إلى ارتباط هؤلاء الأصناف بقوله: **(يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَدًا)** فقد أهلكها هذا القائل في غير محلها، فلم يطعم جائعاً ولم يفك رقبة. ثم انظر ارتباط هؤلاء بالآية بعدها، وهو قوله: **(ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ)** هنا لا تفيد التراخي في الوقت وإلا تأخر الإيمان عن العمل الصالح الذي ذكره من فك الرقاب ومساعدة الفقراء ليست ذات قيمة إذا لم تكن العمل مصحوباً بالإيمان. لكن كلمة "ثم" تشير هنا إلى أن مرتبة الإيمان أقل من الأعمال التي تم ذكرها، لأن الإيمان هو الأساس، وهو ما يحتسب عليه القبول أو الرفض. جاء في (الكشاف): "جاء بثم لتراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت لأن الإيمان هو السابق المقدم على غيره، ولا يثبت عمل صالح إلا به" (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 1367هـ، 1948م، صفحة 340/3). وجاء في (فتح القدير): "جاء بثم للدلالة على تراخي رتبة الإيمان ورفع محله. وفيه دليل على أن هذه القرب إنما تنفع مع الإيمان" (فتح القدير، 1349هـ، صفحة 433/5). قيل بعد الآيات توصية بالصبر وتوصية بالرحمة. ورد في (الكشاف): "المرحمة: الرحمة أي: أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على الإيمان والثبات عليه. أو بالصبر على المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتل بها المؤمن، وبأن يكونوا متراحمين متعاطفين أو بما يؤدي إلى رحمة الله" (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 1367هـ، 1948م، صفحة 340/3) وانظر (البحر المحيط ت 745هـ، 1420هـ، صفحة 476/8).

إن هذه السورة تركز على عاملين هامين: التحمل والرحمة. فالتحمل له علاقة بقوله تعالى: **"وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ"**، لأنه يوضح ما يعانيه الرسول من صعوبات وآلام في هذا المكان. كما يرتبط بقوله: **"وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ"**، حيث إن تربية الطفل تحتاج إلى التحمل. بالإضافة إلى أنه يشير إلى أن **"لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ"**، لأن مواجهة الصعوبات والمتاعب تتطلب صبراً. إن سلوك الطريقين يحتاج - أيضاً - إلى صبر، لأنه يتطلب مجهوداً بدنياً كبيراً، والمواجهة مع العقبات تتطلب تحملاً، وأيضاً الاستعداد يحتاج إلى



صبر في تلبية واجبات العبودية. قضاء اليوم في ظروف صعبة يحتاج كذلك إلى التحمل، كما أن الفقراء يحتاجون لتفهم وصبر طويل. المؤمنون أيضاً يحتاجون إلى المثابرة في الطاعات والابتعاد عن المعاصي. انظر كيف ارتبط التحمل بتلك السورة وكيف تم بناؤها عليه. أما الرحمة، فهي تذكر بشكل جميل مع التحمل. وهي تتعلق بقوله: "وَأَنْتَ جَلُّ بِهِذَا الْبَلَدِ"، بمعاني متعددة لـ "الحل". فإذا كان في وضع يخدم دعوة ربه، فمن الأجدر أن يتم معاملته بالرحمة وليس بالأذى. وإذا كان المعنى أنه مُعفى في هذا البلد، كما حدث في فتح مكة، فقد عامل الرسول قريشاً بالرحمة والإحسان، حيث قال في ذلك اليوم: "اليوم يوم المرحمة"، وسألهم: "ماذا تظنون أنني سأفعل بكم؟"، فأجابوه: "خيراً، أنت كريم وابن كريم". فقال لهم: "اذهبوا فأنتم الطلقاء". انظر إلى أي نوع من الرحمة كانت تلك. وهي ترتبط أيضاً بقوله: "وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ"، لأن العلاقة بين الأب وابنه علاقة قائمة على الرحمة والإحسان. ومن يهدر ماله يحتاج إلى إعادة تصريفه بطريقة تعود بالنفع، وأيضاً من هو مستعبد يحتاج إلى المساعدة. واليوم ذو المسغبة ينبغي أن تشيع فيه الرحمة وهو من أحوج الأوقات إلى إشاعة الرحمة، واليتيم المسكين من أحوج الخلق إلى الرحمة. والذين آمنوا ينبغي أن يتواصوا بينهم بالرحمة، وهكذا بنيت السورة على الصبر والمرحمة. ثم انظر كيف كرر التواصي مع كل منها فقال: (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ) ولم يقل: "وتواصوا بالصبر والمرحمة" ولا: "تواصوا بالصبر والمرحمة" لأهمية التواصي بكل منهما وللدلالة على أن كلا منهما جدير بالتواصي به.

قال تعالى: (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ). "أي: أولئك الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة، وفكوا الرقبة وأطعموا المحتاج في اليوم ذي المسغبة. أصحاب الميمنة، والميمنة: مفعلة من اليمن، وهو الخير والبركة أو من اليمن. وقد يكون معناها جهة اليمين التي تقابل الميسرة وهي الجهة التي فيها السعداء. وقد يكون معناها أصحاب اليمين. أي: الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم، وقد يكون معناها: أصحاب اليمين والخير على أنفسهم وعلى غيرهم" (انظر البحر المحيط 204/8، روح المعاني 139/30 "بمن"). "والذين كفروا هم أصحاب المشأمة، والمشأمة مفعلة من الشأم، وهي جهة الشمال، أو من الشؤم، وهو ضد اليمن" (انظر روح المعاني 139/30). ومعنى أصحاب المشأمة: أصحاب جهة الشمال التي فيها الأشقياء أو الذين يؤتون صحائفهم بشمائهم أو أصحاب الشؤم على أنفسهم وعلى غيرهم. وقد تقول: ولم لم يقل أصحاب اليمين، وأصحاب الشمال كما في مواطن أخرى من القرآن الكريم؟ والجواب أن اختيار هذين اللفظين له عدة فوائد: منها: أن الميمنة والمشأمة جمعت عدة معاني، وهي كلها

مرادة مطلوبة في آن واحد، ولو قال: أصحاب اليمين أو أصحاب الشمال لأعطى معنى واحداً. وأصحاب الميمنة هم أصحاب جهة اليمين التي فيها السعداء، وهم الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم، فيذهبون إلى الجنة، وهو أصحاب اليمين والخير والبركة على أنفسهم وعلى غيرهم، فغنهم أفاضوا خيرهم ومالهم على الفقراء والمحتاجين وتواصوا بالرحمة على خلق الله وهم ميامين على أنفسهم بأن رضي الله عنهم وأدخلهم الجنة. وكذلك أصحاب المشأمة فهم أصحاب جهة الشمال التي فيها الأشقياء، وهم الذين يؤتون صحائفهم بشمالهم، ويساقون إلى النار، وهم أصحاب الشؤم على أنفسهم وعلى غيرهم في الدنيا والآخرة. هذا إضافة إلى التناسب اللفظي، فالعمل والوصف والجزاء كله "مفعلة" فالذين يطعمون في يوم ذي "مسغبة" يتيماً ذا "مقربة" أو مسكيناً ذا "مرتبة" ويتبادلون "بالرحمة" أصدقاء "الميمنة". وأما الكفار فهم أصدقاء "المشأمة"، مما استدعى هذا الاختيار من جميع النواحي. قد تتساءل: لماذا تم ذكر الكفار بضمير الفصل، حيث قال: "وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ" ولم يذكر ذلك مع المؤمنين؟ الجواب هو أن الذين تم ذكرهم من المؤمنين هم من أصدقاء الميمنة، وليسوا الوحيدة في ذلك، فيوجد غيرهم من أصحاب الميمنة. لم يُذكر مثلاً: الذين آمنوا وأدّوا أعمالاً صالحة، أو الذين آمنوا وتبادلوا الحق، أو الذين آمنوا وتكلموا عن الجهاد، أو الذين آمنوا ودعوا إلى الله، فجميع هؤلاء من أصحاب الميمنة. في الواقع، قد يكون هناك من أصدقاء الميمنة من لا يتبادل الصبر أو الرحمة أصلاً، مثل كثير من المسلمين. وقد قال الله في سورة التين: "إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ" سورة التين الآية 6، ولم يذكر فيها أي تواصل، أما الذين كفروا فهم أصحاب المشأمة حصراً، ولا يخرجهم منهم وصف آخر إذا بقوا على كفرهم.

جاء في (روح المعاني): إنه "جيء بضمير الفصل معهم لإفادة الحصر" (روح المعاني 140/30)، فكان ذكر ضمير الفصل في آية الكفار، وعدم ذكره في آية المؤمنين هو المناسب. قال تعالى: "عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ"، ومعنى الآية: إنها عليهم "مطبقة فلا ضوء فيها، ولا فرج ولا خروج منها آخر الأبد" تفسير ابن كثير، صفحة 4/516. وههنا سؤالات:

- لم قدم الجار والمجرور: "عليهم" ولم يؤخرها؟
- ولم قرئت "مؤصدة" بالهمز؟ وما الفرق بينها وبين عدم الهمز؟
- ولم لم يقل كما قال في سورة الهمزة: "في عمد ممددة"؟
- ولم ذكر جزاء الكافرين، ولم يذكر جزاء المؤمنين؟

أما تقديم الجار والمجرور فقد يظن ظان أنه لفاصلة الآية، فإن كلمة "مؤصدة" هي المناسبة لخواتم الآتي: المسبغة المقربة المتربة، المرحمة، المشأمة ولو قال نار مؤصدة عليهم لم يكن مناسباً. وهذا صحيح فإنه لو أخر الجار والمجرور لم يناسب خواتم الآي، غير أن المعنى يقتضي ذلك أيضاً، فإن التقديم ههنا يفيد الحصر، فإن النار مؤصدة على الكافرين لا يخرجون منها أبداً. أما غير الكافرين من عصاة المؤمنين، فقد يخرجون منها بعد أن ينالوا عقابهم، فهي إذن مؤصدة عليهم حصراً ولو قال: "نار مؤصدة عليهم" لم يفد الحصر بل لأفاد أنها مؤصدة على غير الكفار أيضاً، وغير مراد. أما قراءة الهمز في "مؤصدة" فإنها قرئت أيضاً "موصدة" بغير الهمزة. وقد يظن ظان أن التخفيف أولى لأنه من "وصد" و "أوصد" والحق أنهما لغتان أصد ووصد، يقال أصد ووصد، يقال: أصد الباب وأصده وأوصده، إذا أطبقه وأغلقه.

جاء في (لسان العرب): "أصد الباب أطبقه كأوصده إذا أغلقه ومنه قرأ أبو عمرو: إنها عليهم مؤصدة بالهمز أي مطبقة" (لسان العرب، صفحة 39/4) "أصد". وجاء في (روح المعاني): "مؤصدة مطبقة من أصدت الباب، إذا أغلقته وأطبقته، وهي لغة قريش على ما روي عن مجاهد. ويجوز أن يكون من "أوصدته" بمعنى علقته أيضاً وهمز على حد من قرأ بالسوق مهموزاً، وقرأ غير واحد من السبعة، موصدة بغير همز فيظهر أنه من أوصدت، والمراد مغلقة أبوابها، وإنما أغلقت لتشد العذاب والعياذ تعالى عليهم" (عبدالله، 1270 هـ، صفحة 139/30، 140). بالنسبة لاختيار الهمز، فله معناه الخاص. الهمزة تعتبر حرفاً ثقيلاً وصعباً، وهي أثقل من الواو. لذا، اختيار الهمزة بدلاً من الواو يعكس الثقل والشدة، لأن الظروف كانت صعبة في ذلك اليوم، وهي تعبر بشكل أفضل عن القسوة والصعوبة. كما ورد في قوله تعالى: "وَيَذَرُونَ وراءهم يَوْمًا ثَقِيلًا" في سورة الإنسان، وهذا يعكس الثقل أيضاً، إذا نطق الشخص بـ "مؤ"، كأنه يعاني من ثقل. لذا، تعتبر الهمزة الأنسب للإشارة إلى الكرب والصعوبة مقارنة بالنطق بالواو، والتي تتناسب مع جو المعاناة والقوة في السورة، والله أعلم.

أما بالنسبة للسؤال الثالث حول سبب عدم قوله كما في سورة الهمزة "في عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ"، فهناك عدة أسباب. كل تعبير له مكانته المناسبة لأسباب عدة، منها:

1- أنه توسع في سورة الهمزة بذكر صفات المعذب وتفاصيل العذاب فقال: (وَيَلَّ لُكْلٍ هُمْزَةً لُمَزَةً الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ) (سورة الهمزة الآية 1-2). فقال في ذكر صفات المعذب، أنه همزة لمزة، وأنه جمع مالا وعدده، يحسب أن ماله أخذه، في حين لم يزد في سورة البلد على قوله: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا). ولما توسع في صفات المعذب توسع في ذكر

عذابهن فقال: **(كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ)** (سورة الهمة الآية 4) لهذا كان من المناسب أن يتم ذكر الزيادة في سورة الهمة بدلاً من سورة البلد.

2- قد تم ذكر في بداية الهمة "ويل لكل همزة لمزة" حيث دعا عليهم بالعذاب المستمر الذي لا يتوقف. ورفع "الويل" يدل على الاستمرارية، لذلك كان من المناسب أن يُقال: **(إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ فِي عَمْدٍ مُّمدَّدةٌ)** للدلالة على الاستيثاق من غلق الأبواب عليهم.

3- ذكر في سورة الهمة أن هذا الكافر يجمع المال ويعدده، ويحفظه فكما حفظ المال وجمعه وأغلق عليه الأبواب، واستوثق من حفظه أغلقت عليه أبواب جهنم واستوثق منها بأنها مدت عليها الأعمدة، فناسب الاستيثاق من حفظ المال وإيصاد الأبواب عليه الاستيثاق، وإطباق الأبواب عليه في النار. في حين أنه ذكر في سورة "البلد" أنه أهلك مالاً لبدأً. فذلك أهلك المال وأنفقه، وهذا جمع المال وحفظه. فناسب ذكر الحفظ وشدة الاستيثاق في سورة الهمة الاستيثاق من غلق باب النار عليه، والجزاء من جنس العمل.

4- ذكر في سورة الهمة أن هذا الكافر يحسب أن ماله أخذه في الدنيا وأبقاه وأنه لا يفارقها، فعوقب بذلك بالخلود في النار، وإطباق أبوابها عليه والاستيثاق بالعمد الممددة عليها، للدلالة على خلوده في النار أبد الأبد.

5- ذكر في سورة الهمة أن هذا الكافر يتعدى على الآخرين، فهو لم يكف أذاه عنهم، ولم ينلهم من خيره شيء، فهو يهمزهم ويلمزهم ويمنع خيره عنهم، فلم ينفق من ماله شيئاً، فلما اعتدى على الآخرين وأذاهم انبغى له الحبس لتخليص الناس من شره وعدوانه. والمحبوس تغلق عليه أبواب الحبس ويستوثق من إغلاقها وعدم فتحها لئلا يخرج منها. فناسب ذلك زيادة الاستيثاق بالعمد الممددة على الأبواب لئلا تفتح، في حين لم يذكر في سورة البلد سوى الكفر بآيات الله، ولم يذكر أنهم تعدوا على الآخرين.

5- إن المعذبين في سورة الهمة كفار وزيادة، فهم:

1- كافرون.

2- يتعدون على الآخرين بالهمز واللمز والسخرية والتكبر.

3- أنهم جمعوا الأموال ولم ينفقوها.

4- يحسبون أن الأموال تخلدهم في الدنيا في حين لم يذكر في سورة البلد إلا الكفر.

فأولئك كفار وزيادة في العدوان، فاقتضى ذلك الزيادة في تعذيبهم وحبسهم. فانظر كيف ناسب كل تعبير موطنه، ولو جعلت الزيادة في سورة البلد لم تحسن كما هو ظاهر، وأما السؤال الأخير وهو: لماذا ذكر جزاء الكافرين ولم يذكر جزاء المؤمنين.

فالجواب عنه: أن ذلك لمناسبة ما ذكر في أول السورة من خلق الإنسان في كبد، فلم يناسب ذكر النعيم وإنما الذي يناسبه ذكر الجحيم وما فيه من مشقة. (لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، 1423 هـ - 2003 م، الصفحات 280-283). جاء في (روح المعاني): "وصرح بوعيدهم ولم يصرح بوعد المؤمنين، لأنه الأنسب بما سبق له الكلام والأوفق بالغرض والمرام" (روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، 1270 هـ، الصفحات 139/30-140).

## الخاتمة:

إن نعم الله التي أنعمها على الإنسان يجب مقابلتها بشكر الله عليها، والشكر يكون بالعمل الصالح، وبأن لا تكون هذه النعم سبباً لإغترار الإنسان بما عنده من أسباب القوة، وبيئت الآيات أن الإنسان خلق في كبد والنصب، وما لديه من نعم الله ما هي إلا وسيلة للمضي في هذه الحياة في إطار استخلافه على الأرض لعمارته. ومن أهم النتائج التي توصلت إليها عند دراستي لسورة البلد: أن هذه السورة المحكمة النسيج وضعت تعبيراتها لتؤدي أكثر من معنى، هي كالتالي:

- فـ (لَا أَقْسِمُ) تحتل النفي والإثبات، و"حل" يمكن أن تعني الحالة، ما يمكن حله، وما هو حلال.

- (ووالد وما ولد) تشير إلى العموم والخصوص. يمكن أن تشير إلى آدم وذريته، أو إبراهيم وذريته، أو الرسول وآبائه، أو إلى أشخاص آخرين بشكل عام.

- "الكبد" تعني الكفاح والمعاناة. يمكن أن تشير أيضاً إلى القوة والصلابة واعتدال الجسم وغيرها من المعاني.

- "أحسب" يمكن أن تفهم بشكل عام أو بشكل خاص. تعني كل إنسان أو تشير إلى شخص معين في الآية.

- "أهلكث ما لا لبداً" تعني أكثر من شيء. قد تشير إلى إنفاق المال في الفخر والمكارم، أو في عداوة الرسول (ﷺ) أو يمكن أن تعني بالكذب عدم إنفاق شيء بل ادعاء فقط.

- "لبد" يمكن أن تشير إلى الجمع أو المفرد. إذا كانت جمع فهي "لبدة" كما في كلمة نقطة أو خطوة، وإذا كانت مفرد فهي صفة مثل "حطم".

- "النجدين" يمكن أن تعني الطريقتين للخير والشر، ويمكن أن تشير إلى الشديين وكلاهما قد أرشدنا ربنا إليهما.

- "لا" في قوله (فَلَا أَقْتَحِمُ الْعَقَبَةَ) تعني النفي والطلب. ويمكن أن تعني الماضي والمستقبل.

- "العقبة" يمكن أن تشير لكثير من الأمور. قال بعض المفسرين أنها في الآخرة، والبعض الآخر قال إنها في الدنيا، أو جبل في جهنم، أو عقبة بين الجنة والنار.
- "فك رقبة" تعني التحرير أو فك الديون وغيرها.
- "أصحاب الميمنة" يمكن أن تعني أصحاب الجانب الأيمن وأصحاب البركة، وأصحاب الشؤم أيضاً.
- لاحظ كيف أن التعبيرات مختارة لتكون واسعة في المعاني. السورة تحتوي على خطوط تعبيرية واضحة، مثل خط الكفاح الذي يظهر في ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾، وخط العموم والخصوص الذي أوضحناه. هناك أيضاً خط الاجتماع في ﴿أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَدًا﴾ وخط الصبر في "وتواصوا بالصبر"، وخط الرحمة في قوله (وتواصوا بالرحمة).

## المصادر والمراجع:

- إبراهيم بن عمر، مساعد النظر، للباقعي، (ت 885هـ) ج3، للإشراف على مقاصد السور، (الرياض: مكتبة المعارف، ط1، 1408-1987م).
- إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للباقعي: (ت 885هـ) ج22، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي).
- ابن القيم، التبيين في أقسام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت 1982م/ 1402هـ.
- ابن القيم، بدائع الفوائد، 179، إدارة الطباعة المنيرية.
- ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (ت 1393هـ) ج 30، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984هـ).
- ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج1، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.
- أبو الفيض، محمد بن محمد، تاج العروس للزبيدي، ج 27، مجموعة من المحققين، (دار الهداية).
- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط، (ت 745هـ) تحقيق صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، 1420هـ).
- أبو عبد الله محمد بن عمر، مفاتيح الغيث، للرازي (ت 606هـ)، ج31، بيروت: دار عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م).
- أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري، لسان العرب ج4، مصور على طبعة بولاق.
- أبي جعفر أحمد بن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل، ج2، محمود كامل أحمد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1405هـ/ 1985م.
- أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن ج3، مطبعة دار الكتب المصرية للتأليف والترجمة، 1374هـ/ 1955م.
- أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، (ت 1424هـ) مع فريقه، ج3، (عالم الكتب، ط1، 1429هـ-2008م).

- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، (ت 1270هـ)، ج 15، تحقيق على عبد الباري عطية، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1415هـ.
- البحراني، هاشم بن سليمان، البرهان في تفسير القرآن، بيروت-لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1428هـ.
- تفسير ابن كثير، ج 4، طبع بدار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي، ج 31، المطبعة البهية، مصر.
- تفسير المراغي، للمراغي، أحمد بن مصطفى (ت 1371هـ)، ج 30، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، وأولاده بمصر، ط 1، 1365هـ، 1946م.
- تفسير جوامع الجامع، للطبرسي، الفضل بن الحسن، ج 3، قم-إيران-مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، ط 3، 1430هـ.
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الهادي.
- جار الله الزمخشري، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج 3، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، بمصر، سنة 1367هـ/1948م.
- جعفر شرف الدين، كتاب الموسوعة القرآنية خصائص السور.
- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج 1، شركة مكتبة ومطبعة مصافي البابي الحلبي، مصر، ط 3، 1370هـ، 1951م.
- جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، تناسق الدرر في تناسب السور، للسيوطي، (ت 911هـ).
- الخصائص لابن الجني، ج 3، تحقيق محمد على النجار، مطبعة دار الكتب المصرية.
- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، الطبعة الشرعية الأولى 1972، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون 1423هـ، 2003م.
- الشوكاني، فتح القدير ج 5، ط 1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة 1349هـ.
- الغرناطي، أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم بن الزبير محمد شعباني، البرهان في تناسب سور القرآن، (المغرب وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1410هـ، 1990م)
- فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار للنشر والتوزيع، ط 3، 1423هـ، 2003م.
- القاضي البيضاوي، أنوار التنزيل، المطبعة العثمانية 1305هـ.
- محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، للطبطبائي، ج 20، قم-إيران، دار المحتبس، ط 1، 1430هـ.
- محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن، معرفة، ج 1، قم-إيران-ذوي القربي، ط 1، 1428هـ.